

المصفاة الثقافية كاستراتيجية لترجمة البعد الثقافي في النصوص الأدبية من الفرنسية إلى العربية: ترجمة رواية فضل الليل على النهار نموذجا

The Cultural Filter as a Strategy for Translating the Cultural aspect in Literary Texts from French into Arabic: A Case Study of the Translation of “Ce que le jour doit à la nuit”.

إكرام رجال¹

معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 (الجزائر) ikram.redjel@univ-alger2.dz

تاريخ النشر 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/31

تاريخ الاستلام: 2025/05/20

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مدى تطبيق تقنيات المصفاة الثقافية كاستراتيجية لترجمة الأبعاد الثقافية في النصوص الأدبية من الفرنسية إلى العربية، من خلال تحليل ترجمة رواية فضل الليل على النهار. نستعرض من خلالها أهم الخصائص الأدبية والثقافية في النصوص الأدبية وإستراتيجيات ترجمتها، مع التركيز على دور المصفاة الثقافية في تحقيق توازن بين الوفاء للنص الأصلي ومراعاة خصوصيات الثقافة المستهدفة.

توصلنا من خلال الدراسة وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتطبيق المصفاة الثقافية على ترجمة رواية فضل الليل على النهار، إلى أن هذه الإستراتيجية تسهم بشكل فعال في الحفاظ على البعد الثقافي للنصوص الأدبية ونقلها بأسلوب يتناسب مع السياق الثقافي للمتلقي، مع وجود تحديات تتعلق بالتوفيق بين دقة النقل والتكيف الثقافي.

كلمات مفتاحية: ترجمة النصوص الأدبية، المصفاة الثقافية، البعد الثقافي، الترجمة من الفرنسية إلى العربية، ترجمة رواية فضل الليل على النهار.

Abstract :

This study aims to investigate the implementation of the cultural filter as a strategic approach for translating cultural aspects in literary texts from French to Arabic. It examines the key literary and cultural features of literary texts and the strategies employed in their translation, with a particular focus on the role of the cultural filter in achieving a balance between fidelity to the source text and adaptation to the cultural norms of the target text.

Based on a descriptive-analytical methodology, this study examines the application of the cultural filter to the translation of Ce que le jour doit à la nuit. The findings indicate that this strategy plays an effective role in preserving the cultural aspect of literary texts while adapting

¹ المؤلف المرسل: إكرام رجال

them to the cultural context of the target text. Nevertheless, the study also highlights the persistent challenge of balancing faithfulness to the source text with cultural adaptation.

Key words: literary translation, cultural filter strategy, cultural aspect, French-to-Arabic translation, Ce que le jour doit à la nuit.

1. مقدمة:

تعدّ ترجمة النصوص الأدبية مجالاً خصباً للبحث في دراسات الترجمة، حيث حظيت باهتمام واسع من قبل الباحثين نظراً لتعدد المقاربات المنهجية والإشكاليات المرتبطة بها. فترجمة النصوص الأدبية لا تقتصر على النقل الحرفي للنص، بل تتطلب اعتماد منهجية تراعي الأبعاد الثقافية والجمالية التي تعكس روح النص الأصلي ومقاصده، مما يجعلها عملية معقدة تتطلب فهماً عميقاً للسياقات اللغوية والثقافية. تتجلى أهمية هذا النوع من الترجمة في كونه جسراً لنقل الثقافات المختلفة بين الشعوب. غير أنّ الترجمة الأدبية تواجه تحديات جوهرية، أبرزها كيفية نقل البعد الثقافي للنصوص الأدبية دون الإخلال بمضامينها.

نسعى من خلال دراستنا إلى تحليل وتقييم مدى تطبيق تقنيات "المصفاة الثقافية" كاستراتيجية لترجمة الأبعاد الثقافية في النصوص الأدبية، من خلال دراسة ترجمة رواية فضل الليل على النهار من الفرنسية إلى العربية. وقد تم اختيار هذه الرواية نظراً لتنوعها الثقافي وثرأ مضامينها الأدبية التي تعكس المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي.

ومن نحاول الإجابة على الإشكالية الرئيسة المتمثلة في مدى فعالية تطبيق تقنيات "المصفاة الثقافية" في ترجمة الأبعاد الثقافية في النصوص الأدبية من الفرنسية إلى العربية. والتي تنبثق عنها بعض الأسئلة الفرعية مثل ماهي إستراتيجيات ترجمة النصوص الأدبية ومكانة المصفاة الثقافية ضمنها؟ وكيفية توظيف المصفاة الثقافية في ترجمة رواية فضل الليل على النهار؟

ترتكز دراستنا ابراز إستراتيجيات الترجمة، مع التركيز على "المصفاة الثقافية" وتقنياتها. ثم ينتقل البحث إلى تحليل عملي لتطبيق هذه الإستراتيجية على ترجمة رواية فضل الليل على النهار، بهدف تحديد مدى نجاحها في الحفاظ على الأبعاد الثقافية للنص الأصلي ونقلها إلى اللغة العربية بأسلوب يتماشى مع ثقافة المتلقي.

2. النص الأدبي وخصائصه:

1.2 مفهوم النص الأدبي:

اتخذ مفهوم النص في اللغة العربية دلالات متعددة، تشمل معاني مثل الإظهار، والرفع، والتحريك وغيرها من المفاهيم. وقد رأى بعض الباحثين أن النص هو شكل لغوي ذو طول محدد، كالقصة أو الرواية أو المقامة. ومع ذلك، أعاد النقد المعاصر النظر في هذا التصور، متجاوزاً القياسات الشكلية الظاهرية، ليعرف النص بناءً على استقلالته وتكامله. في هذا السياق، يمكن للنص أن يكون جملة واحدة أو كتاباً كاملاً، دون قيود مرتبطة بالحجم أو الشكل. (شريف، 2011، صفحة 154).

كما يعتبر النص الأدبي أحد أهم مظاهر التواصل اللساني لكونه يحتزن الأفكار والتراكيب والوظائف ليجسدها وينقلها حيث عرّفه فرولان بارت بأنه كيان ديناميكي دائم التطور، فهو لا يظل ثابتاً حتى لو كان في شكل مكتوب فهو يتفاعل باستمرار ويتداخل مع نصوص أدبية أخرى، مما يجعله مصدراً للتنوع الدلالي والتأويل المتجدد. حيث يعدّ كياناً مفتوحاً يُساهم القارئ في إنتاج معناه عبر

عملية تفاعلية، حيث تندمج دلالات النص مع إدراك القارئ، ليصبح القارئ شريكاً في بناء المعنى. ففعل القراءة ذاته يمثل مساهمة فعالة في عملية التأليف، مما يضفي على النص أبعاداً دلالية جديدة. (عزام، 1996، صفحة 11)

يتكون النص من مجموعة من الأفكار التي يجسدها وينقلها وتراكيب ووظائف مختلفة وهذا ما يجعله أحد أهم مظاهر التواصل اللسانية وعدا أنه معد لأغراض توصيلية متنوعة فهو أيضا موجه لفئات مختلفة من القراء، فهو يعتبر المادة الأولى للدراسات اللسانية والتحليل بسبب أغراضه المتنوعة وكذلك لتنوع جمهور القراء من حيث العمر، حيث يعتمد تحقيق الجمالية في العمل الأدبي بشكل أساسي على خبرة القارئ وطريقة فهمه وتأويله للنص. فكل قارئ يضيف تفاصيل خاصة به إلى المخطط الأصلي للنص، وهذه التفاصيل تنبع من تجاربه الشخصية السابقة، وليس من النص نفسه. فالعلاقة اذا وثيقة بين اللسانيات النصية والترجمة لكون هذه الأخيرة حدث يحدده النص ويرتبط وجودها به لذلك فهو يمثل عينة لسانية مثالية للتحليل والدراسة. (شرقي، من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، 2007، الصفحات 119-120)

يعتبر الكثيرون النصوص الأدبية على أنها أعمال بغاية جمالية ويكثرون خاصة على الأعمال الشعرية والاستعمال المتنوع للغة دون النية لإنتاج عمل حقيقي وموضوعي في نصهم. غير أن آخرون مثل فلهام دلتاي وهانس جورج غادامر يرون أن الأعمال الأدبية تتعدى غايتها مجرد تحقيق المتعة الجمالية بل تعتبر ناقلة للمعرفة، (شرقي، 2007، صفحة 37) فضلا عن أنها تمثل مختلف الأعمال التي تتميز بالتنوع الكبير في مقارباته لشخصياتها وحرية المحتوى الذي يمكن أن يتغير. في رأيه، الأعمال الفنية لم تُصمم فقط لأغراض جمالية، بل كانت تهدف إلى إيصال معانٍ معينة. وهذا هو السبب الذي جعل غادامر يضع الشكل الجمالي، وكذلك الوعي الجمالي الذي يركز عليه، في مرتبة أقل أهمية مقارنة بالحقيقة التي يكشفها العمل الفني.

2.2 خصائص النص الأدبي:

يتميز النص الأدبي بخصائص تميزه عن باقي النصوص وأهمها:

1. **لغة خاصة:** تعتبر اللغة أهم الوسائل على الإطلاق ويتميز النص الأدبي باستخدام لغة غنية بالأساليب البلاغية والتعابير الفنية، التي تنسجم مع الهدف الجمالي الذي يسعى الكاتب إلى تحقيقه، مما يضفي على النص طابعاً جمالياً ويعزز من تأثيره على القارئ. كما يُعد النص في جوهره خطاباً لغوياً يتكون من عناصر متعددة، مثل الصوت والتركيب والدلالة، وغيرها من المستويات التي تربط اللغة بأبعاد أخرى من الوجود الفيزيقي والاجتماعي والنفسي. وتتنوع أبحاث الذرائعية والسيمائية إلى دراسة هذه الأبعاد، حيث تسعى إلى فهم كيفية تداخلها وتأثيرها في تشكيل النصوص الأدبية، بما يمنحها عمقاً وتوصلاً مع التجربة الإنسانية في شتى تجلياتها. (حكيم، 1988، صفحة 40)

2. **تعدد المعاني والإيحاءات:** تحمل النصوص الأدبية في طياتها مستويات تفسيرية متعددة، تتنوع بين المعاني الظاهرية المباشرة والدلالات الرمزية العميقة التي تتطلب تحليلاً دقيقاً وتأويلاً معمقاً. وتعتمد هذه النصوص بشكل أساسي على أسلوب الإيحاء والتلميح بدلاً من التعبير الصريح المباشر، مما يسمح بترك مساحة واسعة لتأويل القارئ وتفاعله مع النص. فبدلاً من تقديم المضمون

بشكل كامل، تكتفي النصوص الأدبية بتقديم إشارات جزئية تدفع القارئ إلى أعمال خياله وإعادة بناء المعاني وفقاً لرؤيته الشخصية وخبراته الثقافية، مما يؤدي إلى تعدد القراءات وتنوع الفهم للنص الواحد. (رشيد، 2011، صفحة 19)

3. **الوظيفة التعبيرية:** تتمتع النصوص الأدبية بوظيفة تعبيرية تتجاوز حدود نقل المعلومات المباشرة، حيث تعكس رؤية الكاتب الفريدة للعالم والحياة والمجتمع. فمن خلال هذه النصوص، لا يقتصر الأدب على تقديم محتوى سطحي، بل يسعى إلى خلق تجارب شعرية وجمالية تعبر عن أعماق التجربة الإنسانية. وبذلك، يتحول الأدب إلى فن قادر على التأثير العميق في المتلقي، حيث يقدم رؤى ثقافية وفلسفية تثير التفكير وتغذي الخيال، مما يجعله أداة فنية ذات أبعاد إنسانية ومعرفية واسعة. (صالح، 2011، صفحة 18).

4. **البعد الثقافي** تعتبر النصوص الأدبية بمثابة مرآة تعكس تفاعلات الأصوات الاجتماعية وصراعاتها مما يجعله في نظر بعض النقاد تجسيداً لصورة المجتمع، ويُعد الأدب في جوهره انعكاساً للثقافة المجتمعية، حيث يوثق العادات والتقاليد والسياسات التاريخية، ويعالج قضايا اجتماعية متنوعة. إن ارتباط النص الأدبي بزمانه وبيئته يبرز بوضوح بعده الثقافي ودوره كنافذة على القيم والتوجهات السائدة. (حكيم، 1988، صفحة 39)

3. البعد الثقافي في النصوص الأدبية:

3.1 **مفهوم البعد الثقافي:** يشير البعد الثقافي في النصوص الأدبية إلى الجوانب الثقافية المتنوعة التي تتضمنها الأعمال الأدبية، مثل العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والتفاعلات الاجتماعية والتاريخية والدينية. يعكس هذا البعد اختلاف الثقافات وتعدد منظومات القيم والمفاهيم في العالم، وينعكس في تشكيل المضمون والشكل والأسلوب للنصوص الأدبية. يشير البعد الثقافي في هذا السياق إلى الطريقة التي تنعكس بها الثقافة والعادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والتفاعلات الاجتماعية في الأعمال الأدبية. بمعنى آخر، يتعلق البعد الثقافي بكيفية تعبير النصوص الأدبية عن العناصر الثقافية لمجتمع معين وكيفية تجسيدها في الشخصيات والأحداث والسياسات المختلفة. (عامر، 2023)

فالثقافة هي المجموعة الشاملة من العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات والمفاهيم التي تميز مجتمعاً معيناً، بينما يُعتبر البعد الثقافي جزءاً من هذه الثقافة ويشير إلى كيفية تعبير النصوص الأدبية عن هذه العناصر الثقافية وتجسيدها بأشكال مختلفة.

3.2 أهمية نقل البعد الثقافي للنص الأدبي:

تتجلى أهمية الأدب الذي يبرز البعد الثقافي في نقل الثقافات حيث يعمل على نقل تجارب ورؤى تتجاوز حدود الواقع اليومي للقراء، مما يساهم في بناء جسور التواصل والتعايش بين الشعوب. ومن خلال ربط النصوص الأدبية بالسياقات الثقافية التي تنشأ فيها، يتضح كيف تتفاعل هذه النصوص مع محيطها الثقافي، مما يضيف عليها عمقا وثراء. هذا التفاعل المستمر بين النص والسياق الثقافي لا يقتصر على إثراء النصوص الأدبية فحسب، بل يلعب أيضاً دوراً محورياً في حفظ التراث الثقافي ونقله عبر الأجيال، مما يضمن استمرارية الهوية الثقافية وتحديثها عبر الزمن. (ابراهيم، 2005، صفحة 89)

يؤكد فان ديك أن دراسة النص الأدبي كظاهرة ثقافية تُعد المرحلة الأخيرة ضمن سلسلة من الدراسات السياقية التي تشمل السياق التداولي، فالمعربي، ثم الاجتماعي النفسي، وصولاً إلى الاجتماعي الثقافي، حيث يرتبط كل سياق بأهداف تتصل مباشرة بالنص الأدبي. يبدأ هذا التسلسل بتحليل النص باعتباره فعلاً لغوياً، ثم دراسة عملية فهمه وتأثيره، وأخيراً استكشاف تفاعلاته مع المؤسسات الاجتماعية. ووفقاً لهذا المنظور، فإن التفاعل بين النص والسياق الاجتماعي الثقافي لا يتحدد فقط من خلال القواعد والمعايير الثابتة، بل يتجسد أيضاً في محتوى النصوص ووظائفها المختلفة. في هذا السياق، يبرز البعد الثقافي في الأدب كعامل محوري في نقل التجارب الإنسانية والرؤى المجتمعية، حيث يعمل كجسر بين الذاتي والجماعي، معبراً عن الهوية الثقافية والقيم الاجتماعية بطرق عميقة ومؤثرة. ومن خلال هذا البعد، تتحول النصوص الأدبية إلى أدوات استكشافية تتيح فهم التعقيدات التي تحكم العلاقات الإنسانية، كما تسهم في تقديم تحليلات ثاقبة للثقافات المتنوعة والقيم التي تشكل نسيج المجتمعات. (ابراهيم، 2005، صفحة 15)

4. إستراتيجيات ترجمة النصوص الأدبية:

تشكل الترجمة الأدبية نشاطاً معقداً يتجاوز مجرد التحويل اللغوي، حيث تتطلب فهماً عميقاً وتحليلاً علمياً دقيقاً لمجموعة من الإشكاليات المتعلقة بعلم المفردات والصرف والتراكيب. وفي هذا الصدد، يشير إدموند كاري إلى أن محاولات بعض اللغويين الحديثة لفصل اللغة عن سياقها الثقافي، والاعتماد على مفاهيم شكلية بحتة، تمثل منهجاً خاطئاً. فاللغة، بجميع مكوناتها ليست ظاهرة معزولة بل هي جزء لا يتجزأ عن السياق الثقافي الذي تنشأ فيه وتتفاعل معه. وبالتالي فإن فهم اللغة وتحليلها لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأبعاد الثقافية التي تشكل إطارها الوظيفي، مما يؤكد على أهمية الربط بين اللغة وبيئتها الثقافية في عملية الترجمة الأدبية. (مونان، 2000، صفحة 96).

وكما ذكرنا سابقاً فإن الترجمة وسيلة للتواصل بين الثقافات وقد برز هذا المفهوم بوضوح في الستينات على يد إحدى الشخصيات البارزة في مجال نظرية الترجمة، مما أضفى على الترجمة بُعداً ثقافياً يتجاوز مجرد نقل الكلمات إلى دورها في تحقيق التفاعل بين الثقافات المختلفة. (هاوس، 2018، صفحة 21) وبالتالي فإن عملية الترجمة تتطلب فهماً عميقاً للتفاعل بين العناصر اللغوية والثقافية لضمان نقل دقيق للمعاني والقيم. وفي هذا الإطار سنتناول بالتحليل بعض الاستراتيجيات الرئيسية التي تساعد المترجم على تحقيق ترجمة متوازنة ومحكمة، تُحافظ على جوهر النص الأصلي وتُقدمه بشكل يتلاءم مع اللغة والثقافة المستهدفة:

التكافؤ الديناميكي عند نيدا وتابير تركز هذه الاستراتيجية على تكييف النصوص الثقافية لتناسب ثقافة الجمهور المستهدف وهذا قد يشمل تغيير بعض التفاصيل أو السياقات الثقافية التي قد تكون غريبة أو غير مألوفة للقارئ في اللغة الهدف، وذلك لضمان أن يكون النص المترجم مفهوماً ومؤثراً بنفس القدر الذي يُحدثه في اللغة الأصلية. وبالتالي، لا يقتصر التكافؤ الديناميكي على نقل المعنى اللغوي فحسب، بل يمتد إلى نقل التجربة الثقافية بشكل يتلاءم مع إدراك الجمهور المستهدف وقيمه. (بوساحية، 2025، صفحة 129)

التكافؤ عند بيتر نيومارك روفقا لبيتر نيومارك تتطلب الترجمة الأدبية معرفة المترجم لكيفية التعامل مع المعاني الضمنية والعواطف والأنماط الأدبية للنص الأدبي بالإضافة الى فهم الثقافتين الأصل والوصل لنقل النص وأبعاده الثقافية. (نيومارك، 2006، صفحة 12)

التوطين والتغريب عند لورانس فينوتي: عند دراسة استراتيجيات الترجمة الثقافية، نجد أن فينوتي يركز على أهمية استخدام استراتيجيات مثل التغريب (Foreignization) والتوطين (Domestication) لفهم الثقافة المصدر أو تقريب النص إلى القارئ في الثقافة الهدف. يشير فينوتي بأن الترجمة ليست مجرد نقل لغوي، وأن الترجمة الأدبية تساعد في كشف الأبعاد الخفية للنصوص. (منصوري، 2024، الصفحات 82-83)

ترتبط هذه النظريات علاقة تكاملية، حيث يسعى التكافؤ عند نيدا ونيومارك إلى تحقيق دقة المعاني، بينما يعنى التغريب والتوطين عند فينوتي بالحفاظ على الروح الثقافية للنصوص في ضوء هذه النظريات تبرز المصفاة الثقافية كاستراتيجية توازن بين الحفاظ على المعاني الأصلية للنصوص الأدبية وضمان التفاعل الثقافي بين النصوص والقراء بلغاتهم المختلفة.

5. تحديات استعمال المصفاة الثقافية في ترجمة النصوص الأدبية:

قبل أن نتحدث عن تحديات استعمال المصفاة الثقافية في ترجمة النصوص الأدبية علينا أن نوضح مفهومها أولا ودورها في الترجمة

1.5 مفهوم المصفاة الثقافية ودورها في الترجمة.

تعتبر استراتيجية المصفاة الثقافية واحدة من أبرز الاستراتيجيات المعتمدة في الترجمة الأدبية، وتستند إلى أسس علمية تهدف إلى تحقيق ترجمة دقيقة تركز على الفروق الثقافية بين النص الأصلي والنص الهدف. تهدف هذه الاستراتيجية إلى تحليل وتكييف النصوص الأدبية بما يتوافق مع السياق الثقافي للغة الهدف.

تشير استراتيجية المصفاة الثقافية إلى منهجية تهدف إلى دراسة النص الأدبي وتحليله من منظور ثقافي شامل، مع تكييفه ليصبح ملائما ومفهوما للقارئ في الثقافة الهدف. تسعى هذه الاستراتيجية إلى تجاوز الحواجز الثقافية وضمان نقل المضمون الثقافي للنص الأصلي. ويرتكز مفهوم المصفاة الثقافية، كما اقترحه جوليانا هاوس، على فهم واستيعاب الفوارق الاجتماعية والثقافية بين مجتمعات اللغة المصدر واللغة الهدف. ويؤكد هذا المفهوم على ضرورة وجود قواعد تجريبية واضحة لأي تعديل يقوم به المترجم على النص الأصلي، لضمان تحقيق التوازن بين الدقة الثقافية واللغوية في عملية الترجمة. (هاوس، 2018، صفحة 136).

وعليه يمكن القول أن المصفاة الثقافية تعمل كوسيط ينخل النص الأصلي، بحيث يتمكن القارئ في اللغة الهدف من فهمه بسلاسة دون أن يفقد النص قيمته الثقافية. وتعكس هذه العملية أهمية إلمام المترجم بالسياقات الثقافية لكل من اللغة المصدر واللغة الهدف، مع ضرورة تحقيق توازن بين الدقة في الترجمة والإبداع في التكيف الثقافي للنص.

2.5 استراتيجيات الترجمة الظاهرة والمستترة

قبل التطرق الى الترجمة الظاهرة والمستترة، يجدر بنا التأكيد على أن مفهوم المصفاة الثقافية لا يعتبر مفهوما منعزلا أو مستقلا، بل يعتمد على مجموعة من الاستراتيجيات والنظريات التي أسهم في تطويرها العديد من الباحثين في مجال الترجمة الثقافية. من بين المفاهيم

الأساسية في الترجمة الثقافية كما ذكرنا سابقاً هو التكافؤ الديناميكي الذي اقترحه يوجين نايدا، حيث أكد على ضرورة تكيف النص ليناسب الجمهور المستهدف دون التركيز على الترجمة الحرفية. كما جاء لورنس فينوتي بمفهوم التغير والتوطين، حيث أشار إلى ضرورة أن تبقي الترجمة على خصوصيات النص المصدر، أو أن يتم تكيف النص ليصبح أكثر ملاءمة للثقافة الهدف. كما أضاف بيتر نيومارك إلى هذا الاتجاه بنظريته حول التقريب الوظيفي والترجمة الثقافية، مشيراً إلى أهمية الحفاظ على الوظيفة الثقافية للنص خلال الترجمة.

بالإضافة إلى التقنيات التي تم ذكرها، سنخصص هذا المبحث للترجمة الظاهرة والمستترة، لما لها من ارتباط وثيق بالمصفاة الثقافية. ويعود الفضل في تحديد هذه الاستراتيجيات إلى جوليانا هاوس، التي عملت على تعريف الفروق بين الترجمتين، موضحة كيفية التعامل مع المفردات والعناصر الثقافية المختلفة عبر اختيار هذه الاستراتيجيات التي تحافظ على التوازن بين نقل المعنى وتلقي الثقافة الهدف. **الترجمة الظاهرة** هي التي تركز على العلاقة الوثيقة بين النص المصدر وثقافته الأصلية، مما يجعلها تبرز ميزات النص المصدر بشكل واضح وغير مباشر لمتلقي النص المترجم. تتميز بنوعين: النصوص المرتبطة بأحداث تاريخية، التي ترتبط بظروف زمنية ومخاطبة ثقافية محددة، والنصوص غير المرتبطة بأحداث تاريخية، التي تتجاوز زمنها وتعد إبداعات جمالية مستقلة عن سياقها التاريخي. تظهر الترجمة الظاهرة تحديات خاصة، حيث تفرض توافق بين السياق الثقافي والاجتماعي للغة المصدر والثقافة الهدف، مع الحفاظ على هوية النص الأصلي. (هاوس، 2018، صفحة 109)

وهو ما يتوافق مع استراتيجية لورانس فينوتي التي سماها التغير حيث يؤكد على أن المترجم يجب أن يظل وفياً للنصوص الأجنبية ويعرضها كما هي، مما يساهم في نقل المعرفة الثقافية.

الترجمة المستترة على النقيض تتميز الترجمة المستترة، بأن النص المصدر يندمج في ثقافة اللغة الهدف، حيث يُعاد تقديمه كعمل مستقل دون الإشارة المباشرة إلى ارتباطه بالنص المصدر. يتميز هذا النوع من الترجمة بالتركيز على الجمهور المتلقي في الثقافة الهدف، مع الحفاظ على وظيفة النص الأصلية ولكن بصياغة تتماشى مع توقعات القارئ الجديد. لتحقيق ذلك، يستخدم المترجم ما يسمى بـ"المصفاة الثقافية"، حيث يعيد النظر في النص المصدر من خلال منظور الثقافة الهدف، مما يسمح بتكييف الاختلافات الثقافية الأساسية لضمان أن يلي النص احتياجات الجمهور الجديد بطريقة طبيعية ومتكاملة. (هاوس، 2018، الصفحات 112-114). وفقاً لـ لورنس فينوتي، الترجمة الظاهرة تهدف إلى "توطين" النص، أي جعله يبدو كأنه ينتمي أصلاً إلى الثقافة الهدف، مما يزيل الغربة التي قد يشعر بها القارئ بسبب اختلافات ثقافية أو لغوية.

6. دراسة تحليلية لنماذج من رواية *ce que le jour doit a la nuit* وترجمتها

تعتبر رواية فضل الليل على النهار للكاتب الجزائري ياسمين خضرا من أبرز الأعمال الأدبية التي تسرد جوانب من التاريخ الاستعماري الفرنسي للجزائر، وتجسد صراع الهوية والانتماء في مجتمع جزائري ممزق بين الثقافتين. تتميز الرواية ببعدها الثقافي الذي يتجلى في اللغة والعادات والعلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى الرموز التي تُعبّر عن واقع الحياة الجزائرية في تلك الفترة، سواء في بعدها العربي أو الأمازيغي أو حتى الفرنسي.

ويتجلى البعد الثقافي للرواية من خلال الدلالات الرمزية والإيحاءات التاريخية والدينية واللغوية التي تنقل عمق التقاليد والقيم الجزائرية، لا سيما في تصوير الحياة اليومية والمناسبات الاجتماعية والممارسات الدينية، والأمثال الشعبية. حيث تشكل هذه العناصر تحدياً كبيراً للمترجم، لا سيما حين يكون الهدف هو إيصال الرواية إلى قارئ عربي لا يشارك الخلفية الثقافية نفسها التي يحتويها النص الأصلي باللغة الفرنسية.

سنقوم في الفصل التطبيقي بتحليل بعض الأمثلة التي وجدناها تحمل شحنة ثقافية مع ترجماتها. ونهدف من خلال هذا التحليل إلى تقييم مدى استخدام تقنية "المصفاة الثقافية في عملية الترجمة، ومدى تمكن المترجم من الحفاظ على الخصوصية الثقافية للنص الأصلي مع مراعاة تطلعات المتلقي العربي وتوقعاته المعرفية والثقافية.

المثال 1:

"Moi, j'aurais aimé qu'il me dît un mot affectueux ou qu'il me prêtât attention une minute ; mon père n'avait d'yeux que pour ses terres. Ce n'était qu'à cet endroit, au milieu de son univers blond, qu'il était dans son élément. Rien ni personne, pas même ses êtres les plus chers, n'était en mesure de l'en distraire". (khadra, 2008, p. 10).

الترجمة:

"كنت أحب أن يقول لي كلمة لطيفة أو أن يعتني بي دقيقة؛ لم توجد عينا أبي إلا لأرضه. لم يكن يشعر بالراحة إلا في هذا المكان، وسط كونه الأشقر. ليس لأحد القدرة على إلهائه، ولا حتى أعزّ الناس لديه." (خضراء، 2010، صفحة 8)

التحليل:

يمثل الأب "عيسى" في النص الأصلي تجسيدا للهوية الجزائرية التي تظهر في ارتباط الإنسان بالأرض ويتعدى هذا الارتباط بعده المادي لأنه يمثل جزءاً من الهوية الثقافية الجزائرية خاصة في تلك الفترة حيث تعكس الأرض قيم الكرامة والجدية في العمل وتوفر مصدر رزق مهم، وهي المشهدية التي لم يوفق في نقلها المترجم في اللغة العربية حيث اعتمد على ترجمة حرفية مع عدم الاعتماد على تقنية المصفاة الثقافية فترجمة "univers blond" إلى "وسط كونه الأشقر" قد تُوحى بمعنى غير دقيق، حيث أن العبارة الفرنسية تشير إلى المشهد الطبيعي المتمثل في الحقول الذهبية وهو ما يرمز إلى الأرض. الترجمة تفتقر إلى هذه الدلالة الرمزية، وتقتصر على وصف مادي لا يعكس العلاقة العاطفية العميقة مع الأرض. في السياق الثقافي الجزائري، تعتبر الأرض أكثر من مجرد مساحة جغرافية؛ فهي رمز للكرامة والانتماء والهوية. في النص الأصلي، تُبرز عبارة "n'avait d'yeux que pour ses terres" عمق التعلق العاطفي بالأرض بينما تفتقر الترجمة الحرفية "لم توجد عينا أبي إلا لأرضه" إلى الشحنة العاطفية، حيث تبدو كأنها مجرد تصريح مادي.

الترجمة البديلة

"لم تكن عين أبي ترى سوى أرضه، ولم يكن يشعر بالسكينة إلا في هذا المكان، وسط حقوله الذهبية التي تعكس كينونته. لم يكن لأحد، حتى أقرب الناس إليه، أن يلهيه عن هذا العالم الذي أصبح جزءاً من هويته".

المثال 2 :

"C'est la même chose, Issa. Ton fils est mon neveu. Il est de mon sang. Confie-le-moi. Tu sais très bien qu'il n'arrivera pas à grand-chose dans ton sillage". (khadra, 2008, p. 30)

الترجمة:

الأمر سيان، يا عيسى. ابنك حفيدي. إنه من دمي. أتركه عندي. تعرف جيدا أنه لن يحقق شيئا ذا بال في جرتك. (خضراء، 2010، صفحة 28)

التحليل:

يبرز النص العلاقة الأسرية الحميمة بين العم وابن الأخ حيث يظهر لنا السياق الثقافي الذي يعكس المسؤولية العائلية مما يعكس دلالات ثقافية تعد جزءا أساسيا من الثقافة الجزائرية وهو البعد الثقافي الذي لم تنقله ترجمة محمد ساري حيث أخطأ أولا في ترجمة "mon neveu" بـ"حفيدي" وثانيا لم ينقل الشحنة العاطفية ومدى تماسك الأخ بأخيه رغم اختلاف الآراء وطريقة التفكير ونمط المعيشة فعبارة "أتركه عندي" تُظهر الطلب كفعل مادي فقط دون التركيز على العلاقات العائلية ومدى أهميتها في المجتمع الجزائري. تُعد الترجمة أقرب إلى الترجمة الظاهرة، حيث حاول المترجم نقل النص بشكل مباشر دون تفسير أبعاده الثقافية أو إبراز الأهمية العاطفية والاجتماعية للعلاقات الأسرية في الثقافة الجزائرية.

الترجمة البديلة:

لا يوجد فرق بيننا، ابنك من دمي ولحمي فهو ابن أخي، أتركه لي لأرعاه أنت تعلم جيدا أنه لن يحقق الكثير لو يتبع خطاك.

المثال 3 :

Parfois, au beau milieu du charivari, débarquaient les Karcabo, une troupe de Noirs bardés d'amulettes, qui dansaient comme des dieux en écarquillant des yeux laiteux. On les entendait de loin claquer leurs castagnettes métalliques et rouler leur tambour dans un raffut endiablé. Les Karcabo ne se manifestaient qu'à l'occasion des fêtes maraboutiques de Sidi Blal, leur saint patron. (khadra, 2008, p. 37)

الترجمة:

وفي وسط هذا اللغط، تنزل فرقة "القار قابو"، تتشكل من زنوج معبئين بالتمائم، يرقصون كما السحرة، وهم يفتحون عيونهم اللبنية. نستمع إليهم من بعيد، وهم يقرعون صنجاتهم الحديدية ويضربون على طبولهم في جلبة صامة. لا تظهر فرق القار قابو إلا بمناسبة احتفالات زاوية سيدي بلال، وليتهم الصالح. (خضراء، 2010، صفحة 36)

التحليل :

نلاحظ في هذا المثال الذي يزخر بالرموز الثقافية أن المترجم اعتمد ترجمة ظاهرة في كل ما يتعلق بالقار قابو والتي تمثل آلة موسيقية تخص بلدان شمال افريقيا، حيث ترجمه كما ينطق دون محاولة تكيفه أو تفسيره لجمهور عربي غير جزائري. بالإضافة الى زاوية سيدي بلال أضاف كلمة زاوية التي تشير إلى مكان ذو دلالة دينية في الثقافة الجزائرية وبهذا حافظ على الطابع المحلي الجزائري وبالتالي الخصوصية الثقافية للنص الأصلي .

بينما قام بترجمة saint patron والتي يقصد بها القديس الى الولي الصالح وهو المقابل الصحيح لهذه العبارة وهذا لدراية وتمكن المترجم من الثقافة الجزائرية. وبالتالي ركز على النقل المباشر للعناصر الثقافية دون شرح إضافي أو تبسيط للقارئ العربي العام. غير أن المترجم لم يوفق في ترجمة عبارة "comme des dieux" إلى "كما السحرة"، حيث تعكس العبارة الأصلية في النص الفرنسي إعجاباً بمهارة الرقص، في حين أن الترجمة العربية تظهر انطباعاً سيئاً. وبالتالي فالترجمة كانت أقرب إلى الترجمة الظاهرة، حيث حاول الحفاظ على البعد الثقافي للنص الأصلي. غير أن غياب بعض التفسيرات قد يجعل النص أقل وضوحاً للقارئ غير الجزائري.

ترجمة بديلة:

وفي وسط هذا الصخب، تظهر فرقة القارقابو، أعضائها زنوج معبئين بالتمائم، يرقصون بطريقة مثيرة للدهشة وهم يفتحون أعينهم على اتساعها. يمكن سماع قرع صناعاتهم الحديدية وطبولهم من بعيد في وسط ضجيج مدوّ. لا تظهر فرقة القارقابو إلا خلال احتفالات زاوية وليّهم الصالح سيدي بلال.

المثال 4:

Elle a lu dans les zébrures de l'eau que tu vas t'en sortir. (khadra, 2008, p. 61)

الترجمة:

قرأت في خطوط الماء بأنك ستنجح في حياتك. (خضراء، 2010، صفحة 62)

التحليل:

نلاحظ أن عبارة lu dans les zébrures de l'eau تعكس بعداً ثقافياً مستوحى من الممارسات الشعبية الجزائرية فهذه العبارة ليست تعبيراً شائعاً في اللغة الفرنسية وإنما يمكن اعتبارها ترجمة لمفهوم ثقافي جزائري لنقل الصورة للقراء الناطقين بالفرنسية وهي أحد الميزات المهمة في كتاباته حيث تتمتع ببعد ثقافي مزدوج. تجسد هذه العبارة صورة مستوحاة من الثقافة الجزائرية التي تتعلق بالمعتقدات والتقاليد الشعبية خاصة في المناطق الريفية التي تؤمن بالعرافة والتنبؤ بالمستقبل من خلال تأويل العلامات التي تظهر مثلاً في بقايا القهوة في الفنجان وخطوط كف اليد وانعكاسات أو حركة الماء وبالتالي قام الكاتب بتكييفها لتتناسب مع السياق السردى واللغوي في النص الأصل.

نلاحظ أن المترجم اختار خطوط الماء بدلاً من زخارف أو تموجات حيث ركز على ترجمة بسيطة محافظاً على نفس الصورة الأصلية بأسلوب بسيط وبالتالي لم يحافظ على شاعرية وأسلوب النص الأصلي مع إزالة الغموض من خلال ترجمة واضحة للمعنى وإضافة عبارة ستنجح في حياتك.

الترجمة البديلة:

لقد تأملت تموجات الماء وبشرتي بأنّ الفرج قريب.

المثال 5:

« ...je ne connaissais ni d'Ève ni d'Adam mais qui devenaient... » (khadra, 2008, p. 65)

الترجمة:

...لا أعرفهم لا من آدم ولا من حواء... (خضراء، 2010، صفحة 65)

التحليل:

تستخدم العبارة الاصطلاحية "ni d'Eve ni d'Adam" في اللغة الفرنسية للدلالة على شخص لا يعرفه المتحدث إطلاقاً، أي أنه غريب تماماً وتحتوي على دلالة ثقافية مستمدة من المرجعية الدينية. اعتمد المترجم ترجمة ظاهرة حيث ترجمها حرفياً إلى ما يقابلها لغوياً باللغة العربية وهي ترجمة غير موفقة لأنه ليس له دلالة في الثقافة العربية على عكس الثقافة الفرنسية وبالتالي أغفل المترجم جانب البعد والسياق الثقافي وكذلك الوضع والفهم بالنسبة للقارئ العربي.

الترجمة البديلة:

...لا أعرفهم لا من قريب ولا من بعيد...

المثال 06:

Bliss le courtier et les trois hommes de confiance que mon oncle avait chargés de retrouver mon père revinrent bredouilles. (khadra, 2008, p. 72)

الترجمة:

عاد بليس السمسار والرجال الثلاثة الذين كلّفهم عمي بالبحث عن أبي بخفي حنين. (خضراء، 2010، صفحة 73)

التحليل:

تعني عبارة "Mon père revint bredouille" أن والدي عاد خالي الوفاض، أي عاد دون تحقيق ما كان يرجوه أو دون الحصول على شيء مرجو. تُستخدم عبارة "revenir bredouille" في الفرنسية عندما يعود شخص ما من رحلة صيد أو محاولة تحقيق هدف معين دون نجاح كما تعني أيضاً الفشل في تحقيق نتيجة مرجوة في سياقات مختلفة مثل العمل أو البحث عن شيء ما.

يحمل تعبير "عاد بخفي حنين" في العربية معنى مشابهاً لـ "revenir bredouille" في الفرنسية، إذ يُستخدم للإشارة إلى العودة دون تحقيق الهدف أو دون الحصول على شيء.

لكن هناك فرق بسيط: "عاد بخفي حنين" في الأصل قصة تحمل دلالة على الخداع والخيبة، بينما "revenir bredouille" تُستخدم غالباً عند الفشل في الصيد أو في تحقيق نتيجة معينة دون الإشارة إلى الخداع. لذلك، يمكن استخدام "عاد بخفي حنين" في بعض السياقات كترجمة مناسبة، لكن في الترجمة الدقيقة حسب السياق، "عاد خالي الوفاض" هو الأقرب.

خاتمة:

يتّضح من خلال تحليلنا لأمثلة من الترجمات العربية لرواية Ce que le jour doit à la nuit أنه لم يتم توظيف تقنية "المصفاة الثقافية" في كثير من المواضع، وهو ما أثر سلباً على نقل الأبعاد الثقافية للنص الأصلي. ونظراً لما تحمله الرواية من رموز

ودلالات ثقافية جزائرية، فهي تتطلب من المترجم معرفة وقدرة على نقل المعاني بما يراعي الخصوصية الثقافية الأصلية مع الأخذ بعين الاعتبار فهم المتلقي العربي.

أظهرت الأمثلة المدروسة اختلافات في بعض المواضع، حافظ المترجم على الخصوصية الثقافية المحلية للنص، كما في نقله لمرجعية "زاوية سيدي بلال" أو تعبير "القار قابو"، بينما جانبه الصواب في مواضع أخرى مثل ترجمة "mon univers blond" أو "mon neveu"، حيث غابت الإيحاءات الثقافية والدلالات الرمزية، ما أدى إلى فقدان جزء من روح النص الأصلي. كما أن اللجوء إلى الترجمة الحرفية في عدد من الحالات أضعف البعد الجمالي والتأويلي للنص، مما يعكس غياباً أو ضعفاً في توظيف تقنية "المصفاة الثقافية".

وعليه، تؤكد هذه الدراسة أن تطبيق هذه التقنية لا يعد ترفاً أسلوبياً، بل ضرورة منهجية في ترجمة النصوص الأدبية ذات الشحنة الثقافية، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بنصوص تعكس هوية شعب، وتؤرخ مرحلة اجتماعية وتاريخية مهمة. فجودة الترجمة الأدبية لا يقاس فقط بدقتها اللغوية، وإنما بقدرتها على نقل الرؤية الثقافية والفكرية المتضمنة في النص الأصلي.

قائمة المراجع

- yasmina khadra. (2008). *Ce que le jour doit a la nuit*. paris: julliard.
- أشرف عامر. (29 جانفي, 2023). مراعاة البعد الثقافي والجمهور المتلقي للترجمة. القاهرة، القاهرة، مصر.
- آمنة منصوري. (15 جانفي, 2024). التوطين والتغريب في الترجمة التأويلية. *مجلة دفاتر الترجمة*، صفحة 96.
- بلال كمال رشيد. (2011). *اللغة والرواية*. الأردن: فضاءات للنشر والتوزيع.
- بيتر نيومارك. (2006). *الجامع في الترجمة*. (حسن غزالة، المترجمون) بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- جورج موان. (2000). *اللسانيات والترجمة*. (حسين بن زروق، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- جوليانا هاوس. (2018). *تقييم جودة الترجمة*. (خالد دبور، المترجمون) الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حكيم. (1988). *مكونات النص الأدبي*. الدار البيضاء، المغرب: جامعة الحسن الثاني.
- عبد الكريم شرفي. (2007). *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*. الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- عبد الكريم شرفي. (2007). *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*. الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- عبد الله إبراهيم. (2005). *التلقي والسياقات الثقافية*. الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- عبد القادر، حسني شريف. (2011). *آليات إنتاج النص الروائي من الهوامش إلى النص*. *مجلة الباحث* (العدد 2).
- علي عزيز صالح. (2011). *شعرية النص عند الجواهري (الإيقاع والمضمون واللغة)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- غنية بوساحية. (31 جانفي, 2025). *علاقة نظرية الترجمة ليوجين البيرت نيدا بلسانيات النص*. *مجلة لغة كلام*، صفحة 148.
- محمد عزام. (1996). *فضاء النص الروائي مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان*. دمشق، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- ياسمين خضراء. (2010). *فضل الليل على النهار*. (محمد ساري، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.